الفصل الثانى عشر

المـــرأة والطبيب

لماذا تخفى المريضة عن طبيبها

يـدرس الطبيـب فـى مراحـل تعليمـه نظامـا محـددا للحصـول علـى المعلومـات اللازمـة لعـلاج مريضتـه، ويتلخـص هـذا فـى تـاريخ الـزواج، والـدورة الشـهرية، وتـاريخ الـولادات، والأمـراض والعمليات السـابقة، وأمـراض الأسـرة، إلى جـانب شـكوى المريضـة. ولكن الممارسـة العمليـة – فضـلا عـن ضـرورة الاهتمـام بـأمور مؤثـرة أخرى، قد لا تتطوع المريضـة بعرضـها علـى الطبيـب رغـم أهميتـها القصوى – تجعل الطبيب يشعر بأن ما تلقاه فـى كليـة الطـب يفتقـر إلى إضافات هامة للوصول إلى ما قد تخفيه المريضة عن طبيبـها، وقـد يكون هذا الإخفاء عائدا إلى:

١ – اعتقاد المريضة بعـدم الأهميـة أو عـدم إدراكـها لـدى أهميـة ما تحجبه بالنسـبة للطبيب.

٢ – الخجـل مـن ذكـر بعـض المعلومـات وخاصـة مـا يتصـل منها بالجنس.

٣ – الرغبة أحيانا فى دفع الطبيب للسير فى اتجاه معين.

٤ – وجود أسرار كبيرة وخطيرة فى تاريخ المريضة لا تستطيع البوح بها حتى لنفسها.

التاريخ الاجتماعى والجنسى للمرأة

وقد تكون المعلومات التى تستلزم مجهودا للحصول عليها من المريضة هى المدخل الوحيد إلى التشخيص السليم لحالة المريضة، وحتى لا يتوه الطبيب فى القائمة الطويلة من الأعراض التى تعود إلى متاعب نفسية تقاسى منها المريضة، لا مندوحة من أن يضع لنفسه منهجا مرنا، يتغير بتغير البيئة والثقافة ومدى تعاون المريضة للوصول إلى مراده وخاصة فى مجالين أساسيين هما التاريخ الاجتماعى والتاريخ الجنسى للحالة.

والمؤسف أن أغلب الأطباء يتهربون من الدخول فى تفاصيل الحياة الجنسية للمرضى، رغم أن هذه التفاصيل قد تكون المدخل الوحيد للتوصل إلى التشخيص وما يتبعه من علاج، وبالرغم من أن المرضى يعتبرون الطبيب – وخاصة طبيب أمراض النساء – هو الأجدر بالأخذ بأيديهم فى غياهب هذا الموضوع الخطير الذى يشغل بعض المرضى ليل نهار.

ولكن اللوم فى النقص الشديد فى معلومات الأطباء الجنسية إنما ينصب على كليات الطب التى تخرج هؤلاء الأطباء بينما تفتقر

مناهجها ومحاضراتها إلى المعلومات الجنسية المنهجية والعملية التى يجب أن يزود بها الطبيب قبل أن يتعرض لعلاج الجمهور الذى يتخبط بحثا عمن يروى ظمأه إلى هذه المعلومات، وقد نفهم الحرج الذى يقع فيه مدرس الإعدادى عندما يصل إلى باب الجهاز التناسلى، ولكن هل يقبل من أساتذة الجامعة أن يقعوا فى هذا الحرج؟

المرأة التى تزوجت أكثر من مرة

وكثير من النساء يتحرجن من ذكر أنهن تزوجن أكثر من مرة، وخاصة فى وجود بعض المرافقين، وهذه الحالات يدركها الطبيب من تباطؤ وتردد السيدة فى الرد على السؤال التقليدى عن مدة الزواج، أو عندما تذكر فترة زواج قصيرة لا تتناسب مع سنها وهيئتها، وفى هذه الحالة لابد من الحصول على بيانات وافية عن الزواج الأول، وأهمها مدته، وهل انتهى بطلاق أو بترمل، وسبب الطلاق إن أمكن،؟ وإذا كانت قد أنجبت أطفالا من الزوج الأول يجب سؤالها: هل هؤلاء الأطفال يعيشون معها فى بيتها الجديد أو يعيشون مع زوجة أبيهم أو مع آخرين من الأهل؟ ومن يتكفل بالصرف عليهم؟ وهل يتاح لها رؤيتهم؟ فإذا كانوا يعيشون معها: هل لها أو لهم من الإيراد ما يغطى مصروفاتهم؟ وهل يتقبلهم الزوج الجديد قبولا حسنا؟ وهل يميز بين أبنائه وأبنائها فى المعاملة؟ ذلك

أن كل ما يتصل بالأطفال وسعادتهم وتعاستهم يؤثر كثيرا فى صحة ومزاج الأم.

أخبار الزوج الأول

كذلك يمكن الحصول على بيانات عما صار إليه حال الزوج الأول، هل تزوج ثانية، وهل أنجب؟ ومجرد اهتمام الزوجة بتتبع أخباره قد يكون أمرًا له مغزاه.

الفترة بين الزواجين

ومن المهم معرفة الفترة التى انقضت بين الزواجين، فإن انقضاء شهور قليلة بينهما قد يكون دليلا على أن الزوجة كانت تعرف الزوج الجديد قبل الانفصال، وقد عاصرت حالات عادت فيها الزوجة إلى حبها الأول رغم إنجابها من زوج لم تكن تحبه، وانقضاء فترة قصيرة أيضًا قد يعنى الزواج ثانية كان لأسباب اقتصادية أو اجتماعية.

كما أن انقضاء سنوات كثيرة قبل الزواج ثانية قد يعنى عدم الشفاء السريع من صدمة الزواج الأول أو التعلق بالأمل فى عودة المياه إلى مجاريها، فإذا كان هناك طفل أو أكثر من الزوج الأول وانقضى وقت طويل قبل الزواج ثانية، فقد يعنى ذلك متاعب من ناحية الأطفال الذين لم يعتادُوا بَعْدُ هذا الشريك الجديد فى أمهم، والزواج

من رجل له أبناء كبار يعنى وجود منافسين فى قلبه وماله يصعب التغلب عليهم.

التوتر والمعيشة المشتركة

وبالنسبة للزيجات الحديثة والحديثة نسبيا من المهم عند ملاحظة أى مظهر من مظاهر التوتر أن يسأل الطبيب: هل تعيش الزوجة مع حماتها أو من يماثلها فى نفس الشقة أو المنزل؟ ذلك أنه كثيرا ما يحاول هؤلاء دس أنوفهم بما ينغص عيش الزوجة، كما أن عدم استمتاع الزوجة بحريتها فى البيت يذهب بلمعان الزواج نفسه، وهنا يمكن جمع المعلومات التى تشير إلى شخصية الزوج الطفل الذى لا يعرف كيف يستقل عن والدته مهما تقدم فى السن، ومثل هذا الزوج هو المسئول فى أغلب حالات الانفصال المبكر.

المرضى النفسانيون

وفى العادة يكتشف الطبيب أن شكاوى المريضة أساسها نفسى عندما لا يربط شكاواها مرض واحد أو جهاز واحد من أجهزة الجسم، فيجدها تنتقل بمتاعبها بين أجهزة الجسم المختلفة، فلديها ما تقوله فى الجهاز الهضمى والبولى والتناسلى والحركى والعصبى فى وقت واحد، فضلا عن أن المريضة التى تعرض مشاكلها النفسية على هيئة أعراض جسمانية غالبا ما يكون لها ملامح مميزة فى الوجه، وهنا على الطبيب أن يعود إلى تفاصيل أكثر فى حياتها

الاجتماعية والجنسية ذلك أنه إذا لم يهتم بذلك فلن يفلح أى علاج طبى للمظاهر التى تشكو منها المريضة، وسوف تنتقل المريضة من طبيب إلى طبيب فى تخصصات مختلفة بدون تحسن يذكر، وهذا التنقل بين الأطباء يعد أيضا من علامات التوتر النفسى المميزة لهؤلاء المرضى.

التوتر بسبب الأبناء

وقد يكون الأبناء هم سبب التوتر النفسى للأم، فهناك من الأمهات من تذهب أنفسهن حسرات لعدم استذكار الأبناء لدروسهم ورسوبهم فى مراحل التعليم المختلفة، كما أن مرض أحدهم مرضا خطيرا أو مزمنا، أو اضطراب حياته أو سيره فى طريق العنف السياسى أو الإجرام يمكن أن يحيل حياتها عذابا.

وأذكر أن سيدة فى حوالى الستين حضرت إلى بشكاوى متباينة توحى بأن صحتها فى انهيار، ولكن الفحص لم يبين ما يعلل شكاواها، ولما كانت غرفة الفحص منفصلة عن غرفة المكتب التى كانت تنتظر فيها إحدى بناتها، فقد أمكننى أن أعرف منها أن أبناءها وبناتها يتنافسون فى استغلال طيبتها ومنزلها، فيودع كل منهم أطفاله عندها أياما وشهورا حيث تقوم هى برعايتهم مما أنهك قواها وخرب ميزانيتها، وهم يخافون أن تكون ابنتها التى تسكن بقربها المستفيدة الوحيدة منها، وطلبت منى أن أنبه أبناءها إلى أن صحتها لا يمكن أن تتحمل العبء الذى يلقونه عليها.

الزوج ذو الصوت الجهير

وعندما يكون الزوج هو سبب المنغصات فى حياة المرأة التى تتجه إلى طبيب أمراض النساء، فالسبب يمكن أن يكون جنسيا، ولكنه قد يكون غير ذلك، مثل الزوج ذى الصوت الجهير الذى يلذ له النقاش مع زوجته وأولاده بحيث يعرف الجيران كل شىء، وقد يكون ممن يركنون إلى الضرب، فيدفع نوعا من الزوجات إلى الاكتئاب والانطواء طيلة حياتهن مع انهيار سريع فى الصحة وضمور مما قد يؤدى إلى وفاة مبكرة.

الزوج المفتون بنفسه

وهناك الزوج الذى يتيه بجماله أو صغر سنه، ويسعى باستمرار إلى جذب إعجاب النساء الأخريات أمام أو بعلم زوجته، وتظل تصرفاته سيفا مسلطا على زواجها وكرامتها.

الزوج البخيل

والزوج البخيل لا يتغير أبدا، وقد يضع زوجته فى مواقف حرجة متعددة، ومع أن الزوج الثرى يستطيع أن يحول الزوجة الحريصة إلى امرأة مسرفة إلا أن العكس غير ممكن فى المعتاد.

التاريخ الجنسى للزوجين

والمدخل للسؤال عن التاريخ الجنسى للزوجين قد يكون مباشرا أو غير مباشر طبقا لما يراه الطبيب، مع اختيار الكلمات المناسبة

اجتماعيا وثقافيا، وعند السؤال عن الجماع من المهم الإحاطة بمعدلاته وكفاءته وكفايته للزوجة، وذلك إذا كانت شكواها تشير إلى أمور مرتبطة بالإرضاء الجنسى وقد يستحسن سؤال الزوج وحده مباشرة، ومقارنة تقدير كل من الطرفين للأمور.

وقد يكتشف الطبيب أن المعلومات الجنسية لبعض الأزواج سطحية، وكثير منهم لا يدركون أن للزوجة شبقا مثله هى الأخرى، ولا يعلمون شيئا عن الأوضاع المختلفة عدا الأمور العادية.

غشاء البكارة

ولابد من مواجهة الزوج فى حالة بقاء غشاء البكارة سليما لفترة طويلة بعد الزواج، ومقارنة سرده للأحوال الجنسية بما تذكره الزوجة حتى يمكن التمييز بين الزوج الحنون الذى يخشى ما يتصوره إيلاما لزوجته، وبين الزوج غير القادر أصلا، كذلك للكشف عن السبب عند الزوجة الخائفة والباردة جنسيا.

تاريخ تربية الزوج والزوجة

وفى هذه الحالات يجب أن يعود الطبيب إلى نظام التربية الذى تلقاه كل من الزوج والزوجة قبل الزواج، وللطبيب أن يستخدم كل مدخل للوصول إلى هذا الأمر، فقد ذكرنا من قبل كيف وأن التربية القاسية والمصحوبة بالضرب المستمر قد تسبب لبعض الأبناء حالة

القذف السريع، ولبعض البنات الخوف الشديد من الجنس الآخر مما قد يؤخر الدخول فترات متفاوتة، كذلك من المفيد إتاحة الفرصة للعروس الخائفة أن تحكى تخيلها لما يجرى فى الدخلة وما سمعته بهذا الخصوص.

احتقان الحوض

وهناك حالة احتقان الحوض التى تصل فيها السيدة إلى الطبيب ويكون عدم الاكتفاء الجنسى هو السبب الرئيسى فيها فى أغلب الأحوال، كما يمكن للأحزان الدفينة أن تتسبب فيها، وفى هذه الحالة تحدث آلام شبه مستمرة فى أسفل البطن والظهر أحياناً، وفى الحالات الشديدة يمكن حدوث انحناء للمرأة إلى الأمام بالإضافة إلى آلام سابقة ومصاحبة للحيض، وخاصة إذا زادت تلك الآلام بعد الزواج.

والحصول على تفاصيل السلوك الجنسى للطرفين فى هذه الحالات يعد من الأهمية بمكان، إذ يمكن حدوث احتقان الحوض فى حالات القذف السريع والضعف الجنسى أو عدم الدراية، كما قد يؤدى سفر الزوج لفترة طويلة إلى احتقان الحوض أحيانا.

مناقشة أسباب احتقان الحوض

واحتقان الحوض من أهم المناسبات التى يوجه فيها الطبيب الأسئلة عن وسيلة منع الحمل المستخدمة، ووسيلة العزل بالذات -

وهى من أكثر الوسائل المنتشرة لبساطتها - يمكن أن تؤدى إلى احتقان الحوض إذا لم يراع الزوج شبق زوجته، كما أن وسيلة الحاجز الذكرى التى تؤكد تعاون الزوج فضلا عن فاعليتها، يمكن أن تكون مكروهة عند بعض النساء، كما أن الأزواج الذين يشكون من نوبات الضعف الجنسى قد يرفضونها.

ومجرد مناقشة أسباب احتقان الحوض مع المريضة له فائدة كبرى إذ تجد أخيرا من يلقى الضوء على أمور تشغل بالها وترهق صحتها دون أن تدرى كنهها، ويمكنها بعد ذلك أن تلقى جانبا بعامل القلق فتتحسن صحتها نسبيا، وتستعين بالصبر فى الحالات الموقوتة، وتستبدل وسيلة منع الحمل إذا كانت السبب، وتتعاون لعلاج زوجها فيما يمكن إرشادها به، وتتخذ قرارا لمواجهة ما لا جدوى من الصبر عليه أو تهدأ نفسا وتستسلم للأمر الواقع.

عمل المرأة

والسؤال عن عمل المرأة يعد أمرًا مهمًا، فإن عملها إن كان يحمل أهمية بالنسبة لبعض الحالات الطبية، إلا أنه يحمل أهمية كبرى بالنسبة لاجتماعيات الأنثى واقتصادياتها، ثم مقدرتها على استيعاب العلاج وإدارته.

وقد يرغب الطبيب فى أن يدفع المرأة إلى أن تحكى أكثر عن أمور قد لا تحتويها الأسئلة المعتادة، فيوجه سؤالا شاملا هو: كيف

تجدين الزواج؟ والإجابة ما بين أن الزواج ممتع وأنه يثير الغم قد يجد فيها الطبيب أمورًا كثيرة ذات مغزى قد تساعده فى التشخيص والعلاج.

الزوجات الساذجات

وعند الحديث عن الدورة الشهرية للمرأة كنت أدهش أول الأمر عندما أجد من الأزواج من يذكر تفاصيل عن الدورة وانتظامها وكميتها وأمور أخرى أكثر مما تذكره الزوجة، بل من الزوجات من كن يعتمدن على الزوج فى تذكر تواريخها ومدتها. وأذكر أن زوجا حضر مع زوجته وأخبرنى أنها حامل، ولكنها لم تكن تدرى شيئا وبعد الفحص أخبرتها أنها حامل، ولدهشتى ظلت تلوم زوجها بعد أن عادت من حجرة الفحص لأنه لم يخبرها أنها حامل من قبل، وكانت هذه الزوجة – كما لابد أن يكون القارئ قد حدس – من النساء المفرطات فى السذاجة، وهو نوع يفضله بعض الرجال ويسعد به، وقد تجد الزوجة أن ذهابها بعيدا فى إظهار سذاجتها يزيد من سعادة زوجها، فتزيده منها، وكنت لا أملك نفسى من الدهشة من قول أحد هؤلاء الأزواج بسعادة أن زوجته بعد عشرين عاما من الزواج لا تعرف كيف تذهب إلى السوق وحدها، وعلى كل حال لابد أن يكون هناك صفات شخصية وتربوية يحملها كل إنسان إلى زواجه، فلازلت أذكر زوجا أصر على المبيت مع زوجته فى المستشفى طوال الأسبوع الذى قضته فيها لأنه كان يفزع من المبيت وحده

فى المنزل، وذكرت لى زوجة أخرى أن زوجها ينام فى الجانب البعيد من باب غرفة النوم حتى يكون فى حماية زوجته إذا ما داهمهما لص.

المرأة والسمنة

وسمنة المرأة من أكبر مشاكل النساء والأطباء معا، فالسمنة المفرطة سبب إضافى لعدم الحمل أو خطورته، فضلا عن أمراض الضغط المرتفع والقلب والكبد والروماتزم المفصلى والسكر ويمكن أن تؤدى إلى الوفاة المبكرة، والسمنة تجعل العمليات أكثر خطورة وتعقيدا، وقد حدث أنى كنت فى زيارة لقسم أمراض النساء بجامعة طوكيو، وكان رئيسه قد حضر إلى مصر وأجرى بعض العمليات بها، وأذكر أنه قال أثناء الحوار إن الجراحين المصريين لابد أن يكونوا بارعين باعتيادهم التعامل مع النساء المصريات السمينات.

ومن أجدر الأمور بالملاحظة تلك الزيادة السريعة التى تحققها العروس فى الوزن بعد الزواج وكأنها كانت تنتظر الزواج لتنطلق إلى التهام الطعام كما تشتهى، ثم تصبح السمنة هى طريق اللا عودة إلا إذا عاشرت حماتها، كما أن كل حمل إضافى ينتهى بكيلوجرامات إضافية فى الوزن.

وكثير من النساء يفقدن القدرة على الاستمرار فى استخدام ملابسهن بسبب السمنة المستمرة أكثر من أى سبب آخر.

ونظرا لقلة خروج ربات البيوت السمينات فإن مناسبة الخروج تعد أمرا لابد فيها أن تلبس أفضل ما عندها، فتعود إلى شوارها فتلبس منه، وكثيرا ما تجعل السمنة منظرها فاضحا.

وسمنة الزوجة من الأسباب التى تجعل بعض الأزواج يحجمون عن أن يسيروا مع زوجاتهم فى الطريق، والخروج للنزهات والزيارات والسوق، فتفقد الزوجة فرصة تقوية علاقتها بزوجها، ومشاركتها له فى كل الأمور مع كل ما يمكن أن يحمله هذا من معان ومخاطر أحيانا.

فإذا استمرت زيادة الوزن حتى الشيخوخة، فإنها تكون الطامة الكبرى، ذلك أنه عندما تقعد المرأة السمينة بسبب الشيخوخة أو الشلل، فإنك تبدأ فى العد التنازلى لأيامها المتبقية، ذلك أنه من غير الممكن توفير عدد كاف من الناس لمعاونتها على قضاء حوائجها الضرورية.

والسمنة كثيرا ما تعود إلى عادات غذائية سيئة تبدأ فى الطفولة فى الأسر التى تنتشر بها السمنة ومنها الإصرار على الشبع، وهو أخطر الأمور، فضلا عن تفضيل النشويات، واستخدام الملح بكثرة.

مناقشة وسيلة منع الحمل المستخدمة

ولقد أصبح من الأمور الأساسية فى مناقشة المريضة أن يهتم الطبيب بمعرفة وسيلة منع الحمل المستخدمة، فالأقراص الموضعية

رغم عدم أمانها المرتفع إلا أنها تلقى قبولا تاريخيا من السيدات المصريات، وجميع الوسائل الموضعية تعتبر أفضل من عدم استخدام وسيلة لمنع الحمل أصلا.

ومشكلة حبوب الفم فى نسيانها أو سهولة التوقف عنها ولذلك فهى تناسب من تمنع الحمل مؤقتا، والزوجة التى تخطط لحمل آخر رغما عن المحيطين بها.

أما اللولب فعامة النساء يسمينه جهاز منع الحمل وهى تسمية سهلة ونطقها واضح، والواقع أن اسم الجهاز الذى ابتكره الجمهور وتعلمه الأطباء أفضل من اسم اللولب التقليدى أو اسم الواقى الرحمى وهو تسمية حكومية لم أسمع امرأة واحدة نطقت به، ولاشك أن استخدام وسيلة الجهاز فى المجتمع المصرى كما هو الحال فى جميع بقية أنحاء العالم قد أثبتت فاعليتها وسلامتها لسنوات طويلة حيث لا نسيان ولا تأثير على لبن الأم.

ستظل هناك نسبة فشل لوسائل منع الحمل المستخدمة

والنقطة الهامة فى وسائل منع الحمل هى أن كلا منها تحمل احتمالا ولو ضئيلا للحمل، ذلك أن كل ما يتصل بالبشر لا يمكن أن يكون كاملا مائة فى المائة، وفى اعتقادى أنه مهما ابتكر من وسائل فلن تكون هناك فى يوم من الأيام وسيلة موحدة لكل البشر، فالناس لا يختلفون فى حالاتهم الصحية والاجتماعية فقط ولكنهم يتباينون

فى أذواقهم أيضا، حتى عملية التعقيم بربط البوقين أو الحبل المنوى تحمل فى طياتها نسبة ولو ضئيلة من احتمال الحمل.

الحمل المفاجئ

ومعنى هذا أنه ستظل هناك نسبة من السيدات يحدث لهن حمل غير مرغوب فيه بالرغم من استخدام مختلف الوسائل، وهن عادة يكن فى سن أو ظروف غير مناسبة للحمل مما يحمل خطورة على صحتهن أو على الطفل أو قد يؤدى إلى حرج اجتماعى، كمثل السيدة التى توشك أن تصبح جدة أو أصبحت جدة فعلا، ونظرا لأن الجيل الصاعد متشبع بأهمية تحديد عدد أفراد الأسرة فقد قابلت أمهات يفضلن الموت على إنجاب طفل آخر، حرجا من أولادهن وبناتهن.

العيادات المظلمة

ونظرا لأن أغلب الأطباء المتخصصين لا يُجرون عمليات إجهاض لأنها ممنوعة قانونا إلا لأسباب طبية محددة، فإن هؤلاء الأمهات لابد أن يتجهن إلى العيادات المظلمة لإجراء الإجهاض غير القانونى، حيث لا يوجد استعداد كاف من حيث التخدير والخبرة العملية، فضلا عن أن الطبيب غير المتخصص يجرى هذه العملية وهو فى أسوأ حالاته النفسية مما ينعكس على كيفية إجرائه لها، فقد يثقب الرحم ويأتى بأمعاء الأم المسكينة

من خلاله، أو يتسبب فى نزيف رهيب، أو لا يكمل العملية فيستمر النزيف والألم، كل هذا مع احتمال التلوث، ويقدر المتخصصون أن عدد الحالات التى تموت بسبب الإجهاض يفوق كثيرا عدد من يمتن بسبب الولادة، وتكون وفاة هؤلاء الأمهات فى وقت ما يكون أبناؤهن أشد حاجة إليهن، وكثير من الأمهات الناجيات من الموت يصبن بأمراض فى الحوض قد يقاسين منها لسنوات طويلة.

غالبية شعوب العالم تعيش فى دول تبيح الإجهاض

وإذا تركت السيدة التى تستخدم وسيلة تحديد النسل الحمل مستمرا، فهناك القلق المستمر من احتمال تشوه الجنين فضلا عن الإجهاض فى ظروف غير مواتية والتلوث، وكل هذه أمور فيها ظلم بيّن للأمهات فى عصر تعيش فيه غالبية شعوب العالم فى دول تبيح الإجهاض، بعد التوسع فى مبيحات الإجهاض ولا يمكن أن يستمر تعريض حياة الأمهات للخطر بسبب الحمل والإجهاض فى العيادات المظلمة أو عن طريق الدايات بوسائل بشعة.

الحمل المتكرر تهديد للصحة يبيح الإجهاض والتعقيم

لابد أن نقرر بثقة أن الحمل المتكرر فى ظروف معينة يعد تهديدا للصحة، ويجب أن يضاف إلى قائمة الحالات الصحية التى

تبيح الإجهاض القانونى والتعقيم إذا رغبت الأم، ومن حق كل من حدث لها حمل فيه خطورة على حياتها وعلى طفلها من قريب أو بعيد أن تجرى لها عملية الإجهاض فى مستشفيات وأماكن بها كل ما يلزم من استعدادات توفر السلامة والأمان، وفى حماية القانون فالمشاكل لا تحل بالتهرب منها ولكن بمواجهتها بأفضل الأساليب.

إن نسبة معينة من الأطفال فى كل أسرة تجاوزت العدد المطلوب كان حملهم غير متوقع وغير مخطط، ومجموع هؤلاء عبء على إمكانيات الأسرة والأمة، وكثرتهم كغثاء السيل، والعالم ملىء بالنماذج التى أكدت أن نوعية الناس وليس عددهم هو الأكثر تأثيرًا فى تحقيق التقدم.

التعقيم الإلهى

وكما ذكرنا آنفا أنه يجب أن نستفيد من حكمة التعقيم الإلهى للمرأة فى الأربعينات، وذلك بأن نجعله مبكرا لمن لم تنجح معها وسائل تحديد النسل الأخرى، وهذا ما كشف الطب عنه أنه فى مصلحة المرأة بعد أن حملت الأطفال وهنا على وهن.

حتى لا يحكمنا قانون الزحام

كل هذا حتى لا يحكمنا قانون غير مكتوب ولكنه معروف لنا جميعا ونلمس آثاره ليل نهار.. إنه قانون الزحام.

ففى الزحام تختفى المروءة والأخلاق وتسقط المبادئ.

وفى الزحام يبرز الجشع والأنانية وتعلو أعلام الحقد.

وفى الزحام ينتشر الفقر والجهل والمرض والإهمال.

وفى الزحام يحدث جميع أنواع تلوث البيئة.

وفى الزحام لا يكون التعليم سليما ولا تكون الفرص متكافئة.

وفى الزحام يختفى الفن الحقيقى فمعاناة الزحام هى آخر ما يمكن أن يحفز الفنان إلى الإبداع.

وفى الزحام يسهل الانحراف بأنواعه بدءًا بانحراف زحام المسكن ونهاية بانحراف الأفكار والمبادئ.

* * *

والآن.. وقد وصلت إلى السطور الأخيرة فى هذا الكتاب يتراءى لى سؤال:

هل كان من المصلحة أن حاولت تعرية النوعيات التى قابلتها من النساء. وألا يذهب هذا بالغموض الذى تتدثر به المرأة ويحب الرجل أن يحيطها به؟

ولكنى أشك فى أن شخصًا بالغًا يمكن أن يتغير طبعه جذريًا بنصيحة أو بقراءة كتاب، وأقصى ما أطمع فيه هو تقديم معلومات

كي تضيء بعض الطريق، ذلك أن كلّ علاقة مستمرة بين شخصين سوف تظل هي نقطة توازن فيها من الرضا أو عدم الرضا النابعين من عوامل كثيرة ومعقدة، ولكنها تضمن الاستمرار مهما كان فيها غالب ومغلوب.